الشيعة بين الإشاعة والشائعة

2017-12-06موقع الامام الشيرازي

بحسب كتب اللغة، فإن الإشاعة هي تضخيم للأخبار الصغيرة، وإظهارها بصورة تختلف عن صورتها الحقيقية، فهي إذن أخبار موجودة، ولكن إظهارها بصورة مختلفة عن حقيقتها بالتهويل والتعظيم أصبحت "إشاعة".

أما "الشائعة" فهي أقوال أو أخبار أو أحاديث يختلقها بعض لأغراض خبيثة، ويتناقلها الناس بحسن نية، دون التثبت في صحتها، ودون التحقق من صدقها.

والشيعة -خاصة في العقد الأول من الألفية الثالثة- يتعرضون إلى حروب شتى، منها حرب الإشاعات والشائعات، فضلاً عن حروب قتل وإبادة، إلا أن حرب الإعلام كانت ومازالت المقدمة الدامية لشن الحروب على الشيعة وديمومتها.

فبعد تطور وسائل الإعلام وتقنيات الاتصال التي فجرت معها ما عرف بثورة المعلومات، عمّ القلق أرجاء العالم من ظاهرة التكفير الديني، نتيجة انبعاث واسع ومخيف لأفكار ونزعات التعصب والتطرف والكراهية التي ترفض التعايش مع الآخر (خاصة إذا كان الآخر هو الشيعة)، مهما كانت طبيعة هذا الآخر وهويته، ولا التواصل ولا الحوار معه، ولا الانفتاح عليه ولا التقرب منه، فقط تتعامل بذهنية الإلغاء والإقصاء، وبمنطق القسوة والصدام، وبمنهج الأُحادية واحتكار الحقيقة المطلقة.

وقد أطلقت هذه الأفكار والنزعات موجة من الكراهية الدينية أثارت معها حفيظة العالم، وفي مقدمتهم العقلاء والحكماء في كل الأديان والمذاهب والجماعات، الذين أخذوا يحذِّرون من خطورة تفشي وتنامي مثل هذه الظاهرة، وعبورها وامتدادها بين المجتمعات الإنسانية، وظلوا يطالبون بتضامن إنساني وعالمي للوقوف بوجه هذه الظاهرة، والإعلان عن رفضها ومقتها والتشنيع بها.

وحقيقة الأمر أن المشكلة ليس في الاختلافات التي ظهرت وتظهر بين الأديان والمذاهب والجماعات، إنما في تحول هذه الاختلافات إلى كراهية، وإعطائها تسويغات دينية تحرِّض على التنافر والتباعد والتباغض، وقد يتطور الأمر ويصل الحال إلى الدعوة لعدم مجالسة المختلف معه، والابتعاد عن مجاورته، وترك توقيره ومكالمته ومجادلته، وعدم بسط الوجه له، وحتى السلام عليه. وإن منبع المشكلة يكمن في وجود فئة من الناس تحترف الكراهية وتمتهن القتل، فهي لا ترى العبادة إلا عبر إراقة دماء الناس ذبحاً وإزهاق أرواحهم تفجيراً.

والغريب، أن التحريض العلني ضد الشيعة أصبح مشاعاً بشكل ملحوظ، ويأتي من حكام وفقهاء وسياسيين ومثقفين وإسلاميين وعلمانيين، ففي كل يوم تنعق وسائل الإعلام بدعوى أو فتوى تحرّض على قتل الشيعة. وهذه الفتاوى تتمحور حول اعتبار عموم الشيعة كفرة مشركين، وإن خطرهم على المسلمين أعظم من خطر اليهود والنصارى، ويجب الحذر من الشيعة، وعدم الاغترار بما يدعونه من الانتصار للإسلام، وإن مذهب أهل السنة ومذهب الشيعة ضدان لا يجتمعان، ولا يمكن التقريب إلا على أساس التنازل عن مذهب السنة أو بعضها أو السكوت عن باطل الرافضة، وهذا مطلب لكل منحرف عن الصراط المستقيم، وأن الخطر يكمن في عموم الشيعة، فقهاء ومواطنين عاديين، لأنهم متعصبون لا يستجيبون لداعي الحق.

ودفعاً لشرور الفتنة التي يراد تفجيرها بين مكونات المجتمع، وعلى وجه الخصوص بين السنة والشيعة لتحترق البلاد والعباد، لابد من التذكير بفتاوى على الضد من تلك الفتاوى التكفيرية، فلا تخلو الساحة من أصوات العقلاء الذين يقدمون الإسلام بسماحته، فإن من الموضوعية القول بأن التكفيريين شرذمة إجرامية، غريبة عن أمة العقل والعدل والرحمة والمحبة.

فيرى شيخ الأزهر السابق، د. محمد سيد طنطاوي (لا فرق بين السنة والشيعة، وأن كل من يشهد أن لا الله إلا الله فهو مسلم، وإن الخلاف _إنْ وجد_ فهو خلاف في الفروع، وليس في الثوابت والأصول، والخلاف موجود في الفروع بين السنة أنفسهم والشيعة أنفسهم). وقال (إن كل من يحاول إشاعة الخلاف بين السنة والشيعة مأثوم).

د. عبد الصبور مرزوق، الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر العربية،

ومدير رابطة العالم الإسلامي، والمفكر والمؤلف والأستاذ الجامعي (ت 1429هـ)، يؤكد: (ثبت بالدليل القاطع، أنه لا يوجد لدى الشيعة قرآن خاص بهم، ولا يوجد ما يقال عنه مصحف فاطمة، فهو غير صحيح).

كما تم اعتماد المذهب الجعفري، ليدرس في جامعة الأزهر، وإلى الآن يدرس بالفعل. فإن الشيخ محمود شلتوت كان قد أصدر في الستينات فتوى أثارت جدلاً كبيراً، وأجازت الفتوى التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، وقد عضد الشيخ محمد الغزالي هذه الفتوى برأيه فيها. وتقول الفتوى كما وردت على لسان الشيخ محمود شلتوت: إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل إن لكل مسلم الحق في أن يقلد – بادىء ذي بدء – أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل لغيره من المذاهب، ولا حرج عليه في شيء من ذلك، وأن مذهب الجعفرية المعروفة بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغي على المسلمين، أن يعرفوا ذلك، ويتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله، وما كانت شريعته لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق بين العبادات والمعاملات.

يقول الإمام الشيرازي(قدهـ): "لقد كان ابتعاد بعض أهل السنة عن الشيعة، أمراً على خلاف الإسلام الذي ينصّ بوجوب وحدة المسلمين، كما قال سبحانه: (وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون/52، وعلى خلاف رغبة علماء السنة العظام قديماً وحديثاً، فانظر إلى كلام العلامة الذهبي، الذي هو من أعاظم العلماء، إذ يقول في (ميزان الاعتدال ج1 ص5): (فهذا _أي التشيّع_ كثر في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء _أي الشيعة_ لذهبت جملة الآثار النبوية). وقد ذكر العلامة الأجلّ شرف الدين، في كتابه القيّم (المراجعات)، أسماء مائة من رجال الشيعة الذين أخذت عنهم العلماء في كتب الحديث وغيرها".

وقد اقتفى آثار أولئك السابقين من العلماء في هذا الأمر العديد من العلماء، فقال شيخ الجامع الأزهر (الأسبق) في فتواه التي نشرتها مطبعة دار البصري ببغداد سنة 1385هـ في كتاب (المؤتمر

الإسلامي العراقي) ما نصّه:

(عملت منذ تقلّدي منصبي -في العام الماضي- على جمع كلمة المسلمين، وإزالة ما بينهم من خلافات مذهبية، وقد سرّني أن يلبّي الدعوة -أي دعوة المؤتمر- علماء خمس وثلاثين دولة إسلامية، وفي مقدمتهم علماء العراق)، ثم ذكر أنه تشرّف برئاسة موسوعة في الفقه، تعد موسوعة فقهية للمذاهب الإسلامية، بما فيها المذاهب الأربعة المعروفة، ومذهب الزيدية والشيعة الإمامية.

ومن جهته، قال شيخ الأزهر د. أحمد الطيب: (حينما تكون هناك فضائيات تحكم بكفر الشيعة، هذا شيء مرفوض، وغير مقبول، ولا نجد له مبرراً، لا من كتاب ولا سنة ولا إسلام. نحن نصلي وراء الشيعة، فلا يوجد عند الشيعة قرآن آخر، كما تطلق الشائعات، وإلا ما ترك المستشرقون هذا الأمر، فهذا بالنسبة لهم صيد ثمين، ولي بحث في هذا المجال. جميع مفسري أهل السنة من الطبري وحتى الآن، لم يقل منهم أحد أن الشيعة لديهم قرآن آخر. لا يوجد خلاف بين السني والشيعي يخرجه من الإسلام، إنما هي عملية استغلال السياسة لهذه الخلافات).